The Lover's Ego in Ibnul-Haddad Al-Andalusi Diwan

Nisreen Ismail Ibrahim Al-Alwani*, Bashar Khalaf Abboud
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Anbar, Ramadi, Iraq
* nes20a1028@uoanbar.edu.iq

KEYWORDS: **Ego, Andalusian, Lover, Ibnul-Haddad.**

https://doi.org/10.51345/.v34i3.719.g382

ABSTRACT:

It is noticeable that the state of the ego and the other ego is clear in the poetry of Ibnul-Haddad Al-Andalusi, so the ego was suffering and pain for him, and this matter appears clearly in most of his poems, and perhaps the reason behind this is rejection and prohibition in the other, and his view of the other (woman) was a negative view, and it is noticeable that he relied on In his discourse on the other on symbols, as many Arab poets who preceded him relied on this approach, in not declaring the names of their beloved ones using pseudonyms, and Ibnul-Haddad expressed his flirtatious experience with a Christian girl whom he called (Nuwayra), and he directed his (ego) towards that woman in a way Great passion and passion. Therefore, the suffering ego appeared sad in his poems a lot, so he mentioned the abandonment of the beloved and her repulsion from him, and the wise ego had a large share of his poems. Because this topic contained space, it occupied the mind of Ibn al-Haddad a lot, especially since he was living in an emotional atmosphere that was optimistic at times and anxious at other times. The ego lover of Ibn al-Haddad Al-Andalus got an important part of his collection.

الأنا العاشقة في ديوان ابن الحداد الأندلسي

نسرين إسماعيل إبراهيم العلواني*، أ.د. بشار خلف عبود
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الانبار، الرمادي، العراق
* nes20a1028@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية | الأنا، الأندلسي، العاشقة، ابن الحداد.

https://doi.org/10.51345/.v34i3.719.g382

ملخص البحث:

من الملاحظ أن حالة الأنا والأنا الاخر واضحة في شعر ابن الحداد الأندلسي، فكانت الأنا عنده معاناةً وألماً، ويظهر ذلك الأمر جليًّا في معظم قصائده، ولعل السبب وراء ذلك والرفض والنهو في الآخر، وكانت نظرته إلى الآخر (المرأة) نظرةً سلبيه ومن الملاحظ أنه اعتمد في خطابه بالآخر على الرموز، كما اعتمد هذا النهج كثير من الشعراء العرب الذين سبقوه، في عدم التصريح بأسماء محبوباتهم باستعمال الاسماء المستعارة، وقد عبّر ابن الحدّاد عن تجربته الغزلية مع فتاة نصرانية أطلق عليها اسم (نويرة) فوجه (أناه) تجاه تلك المرأة بشكل كبير من الوجد والهيام. لذلك ظهرت الأنا المتألمة حزينة في أشعاره كثيرا، فذكر هجر المحبوبة وصدّها عنه، وكان للأنا الحكيمة نصيب وافر من أشعاره، وينهض هذا البحث بدراسة الأنا العاشقة في شعر ابن الحداد الاندلسي؛ لما احتواه هذا الموضوع من مساحة شغلت ذهن ابن الحداد كثيراً لاسيما انه كان يعيش في ضمن جوٍ عاطفي متفائل تارة وقلقٍ تارة اخرى، وقد نال الأنا العاشق عند ابن الحداد الأندلسي جزءاً مهماً من ديوانه.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين، وعلى آله وصحبه اجمعين.

وبعد: فالأدب فن يقدم تجربة تفصح عن موقف إنساني، ويكون أكثر خلوداً كلما كان قريباً من حياة البشر ووجدانهم وما يمس ذواتهم الإنّسانية.

ومن هذه التجارب الانسانية ما نجده حاضراً عند شعراء الاندلس ولاسيما الشاعر ابن الحداد (480 هجرية) الذي عاش في مدة ملوك الطوائف، إذ لطالما خاض شعره بتجارب شخصية عاشها لوحده، ومن أهمها التجارب العاطفية التي خلّدها بشعره، موجهاً إياها الى من قَصَّر معظم شعره عليها (معشوقته نويرة)، فضلاً عن تجاربه المدحية الموجهة لبعض ملوك عصره.

وانطلاقاً من هذه العلاقة التي بينه وبين الآخر جاء بحثي ليعالج ظاهرة (الأنا العاشقة) في شعر ابن الحداد وليقف على أهم ملامح هذه العلاقة مع الآخر بوصفه مخاطباً فضلاً عن محاولة استنطاق الخطاب العاطفي الشعري ومدى استجابة الآخر/المحبوب لما أوحته تجربته العاطفية، في ظل منهج وصفي تارة وتحليلي تارة اخرى.

وبالتالي فهي محاولة مني واجتهاد، فإن وُفقت فلله الحمد على توفيقه. وإن كان غير ذلك فحسبي اني اجتهدت.

الأنا العاشقة:

يعدُّ الغزل من أكثر الأغراض الشعرية الأندلسية تداولاً بين الشعراء، حيث احتل مكانة عريضة وأهمية كبيرة، وحظي بعناية الشعراء وعلى مختلف عصورهم؛ لما له من وشائج وعلاقات وصلات نفسية تتيح للأندلسيين تبيان شكواهم وبث مشاعرهم.

ولعلَّ هذه المكانة العريضة التي احتلها الغزل لم تأت من فراغٍ البتّة، وإنما جاءت بفعل عوامل ودواعٍ معينة أهمها:

أولاً: البواعث الحضارية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها الأندلس ولاسيما مدة ملوك الطوائف، كلها أتاحت الفرصة وهيأتها لإنعاش غرضٍ شعريٍ كهذا.

ثانياً: الطبيعة الساحرة التي نعمت بها الأندلس وأثرت في نفوس شعرائها. حيث كان الشاعر الاندلسي كثير التجاوب مع هذه الطبيعة والبيئة الجديدة بما احتوته من مظاهر خلابة ومشاهد فاتنة، فكان بحاجة "لتغذية حاجاته الفطرية التي تتفق مع مجتمعه، ويتجه بكل قدراته لتحقيق رغباته من خلال ما يسمى بالحسب"[1].

ثالثاً: الحرية النسوية والامتزاج الحاصل بين عناصر المجتمع الاندلسي، كلاهما أتاح للمرأة كامل الحرية، فكانت أن مارست نشاطها بكل حرية وهي شاعرة أو أميرة أو عاملة، كلهن خرجن "بنشاطهن إلى الحياة العامة، سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقة الفقيرة والجاريات، وسجَّل لهن تاريخ الأندلس صفحات من المجد"[2].

زيادة على اسهامها بترسيخ (أناها) لدى الرجل، فهي الصورة من محاسن الطبيعة، والطبيعة تجد في المرأة ظلها وجمالها، ولذلك كانت روضاً وجنةً وشمساً"[3].

الأمر الذي أتاح للأندلسيين لأن يمزجوا الغزل بالطبيعة؛ كي يظهروا المحبوبة مع جمال الطبيعة ومفاتنها"[4].

رابعاً: التأثير النصراني الذي ألقى بظلاله على الشاعر الأندلسي بشكل عام وابن الحداد بشكل خاص، إذ قصر معظم نصوصه الشعرية على تجربة غزلية مع فتاة نصرانية أطلق عليها في نصوصه الشعرية اسم (نويرة). حيث اتخذ "عشقها وسيلة للتكلم في أوصاف المسيحية والقسس والكنائس والصلوات... فخرج عن عادة الشعراء في الاقتصار على أوصاف النفوس وآلامها عند الكلام عن العشق، وهذا يدل على شيء من الابتكار وسعة الخيال وتأثير الشعر وعقول الشعراء بما يرون في الحياة"[5].

وكصدى لهذا النوع من العشق يوجه ابن الحداد (أناه) العاشقة إلى (نويرة) بشيء من الوجد والهيام إلى الحد الذي كاد يفقد بسببها قلبه، فيصرح بقوله:

(الكامل)

ولُعي بذات القُلْب أفْقَدَ أضْلُعي قَلْباً عليه ما يريمَ يرين[6].

وقد تأصلت درجات العشق هذه عن طريق أقوال مواطني ابن الحداد من المؤرخين كابن بسام الشنتريني الذي يقول: "كان أبو عبد الله قد مني في صباه بصبية نصرانية ذهبت بلّبه كل مذهب، وركب إليها أصعب مركب، فصرف نحوها وجه رضاه، وحكمها في عقله وهواه، وكان يسميها (نويرة) كما فعل الشعراء الظرفاء قديماً في الكتابة عمن أحبوه، وتغيير اسم من علقوه"[7].

وابن سعيد الأندلسي (صاحب كتاب المغرب ت 685هـ) الذي أفاد بأن ابن الحداد كان "يهوى رومية يكني عنها بنويرة، وله فيها شعر كثير"[8]. وغير ذلك من الآراء التي أفادت استمالة ابن الحداد للغزل النصراني. وقد أشرنا لهذا النوع من الغزل بعض السمات أهمها أنه اتسم بسمات عفيفة، أبياته ومعانيه ودلالاته لا تعدو أن تكون تصويراً لمشاعر المحب وما يعانيه من الشوق والحنين تجاه من يحب، فضلاً عما يلاقيه من مصاعب والآم نتيجة الصَّد والبعد، زيادة على ترفعه عن المعاني الحسية، واتسامه بنوع من التسامي نحو عواطف نزيهة. ولعلَّ هذه السمات التي لاحظناها من هنا أو هناك خير دليل على عدم اطمئناننا إلى حكم المستشرق (غارسيا غومس) الذي رأى أن الاتجاه في الغزل الأندلسي ولاسيما في عصر الطوائف الذي يندرج فيه ابن الحداد كان من النوع الحسي الذي تحركه الأهواء وتجدد نشاطه تلك الرغبة وبصورة مستمرة[9].

ومع تسليمنا بوجود تيار حسي حظي باهتمام بعض الشعراء وانغمسوا فيه، إلا أنَّ هذا الحكم لا ينسحب على شاعرنا، إذ إنَّ قصائده في (نويرة) بلغت من السمو العاطفي حدَّاً يقربها إلى معاني العذرية كثيراً، حتى "بدا مثلها فيما بعد على أشعار الترو بادور"[10]، يدل على ذلك قوله:

(الكامل)

ورأت جفوني في نويرة كاسمها ناراً تضل وكل نار ترشُدُ
والماءِ أنت وما يصح لقابض والنار أنت وفي الحشا تتوقدُ[11].

وقوله أيضاً:

(الوافر)

رويدك أيها الدمع الهتونَ فدون عيان من أهوى عيونَ
يظن بظاهري حلم وفهم ودخله باطني فيه جنونَ
الحاكم أستر ما ألاقي؟ وما أخفيه من شوقي يبين

نـــويـــرةُ بي نـــويـــرةُ لا ســـــواهـــا ولا شـــــك فـقـد وضَـــح الـيـقـين[12].

فحديث ابن الحداد إذن في النصرانية —وإن كان قليلاً– جديدٌ في الشعر العربي مع أن كثيراً من الشعراء كان يعيش مع هؤلاء الناس ويرى أعمالهم الدينية، ولكن لقصر في خيالهم. وجمود في عقائدهم لم يحوموا حول هذه الموضوعات في الكلام على من كانوا يعاشرون من الأمم التي تدين بغير الإسلام وما كانوا عليه في أعمالهم الدينية المملؤة بالالهامات الشعرية والخيالات. وليس ابن الحداد أول من أحب نصرانية من الشعراء حتى كان ذلك سبباً من أساب طرق هذا الموضوع لديه، لكن كان يرى ما لا يراه أحد"[13]. الأمر الذي يفسر تسخير ابن الحداد لذاته وأناه ويسوغ خطابه الموجه لنويرة.

وعلى الرغم من عاطفته الصادقة التي بثَّها في نصوصه الشعرية في غير مناسبة، وتنوع أساليبه ووسائل تصويره، الإ أنَّ أناه العاشقة لم تلق انتشاراً في الأوساط الأندلسية.

ويمكن لنا أن نعزو هذا العزوف إلى بعض الأسباب التي نحسبها جديرة بالذكر أهمها:

1. اختلاف العقيدتين بين العاشق والمعشوق، حيث أدى هذا الاختلاف العقدي إلى أن يحدث رفضاً في بيئة محافظة، وهذا ما دعا الدكتور إحسان عباس إلى قوله ما نصُّه": "وما أظنُّ أن مثل ذلك الشعر يحدث صدى كبيراً في بيئة محافظة"[14].
2. انتهج ابن الحداد في أغلب قصائده الغزلية: "أسلوباً فلسفياً لا يدرك مقصده من غير الطبقة الخاصة. ومثل هذا الأسلوب يحد من انتشار قصائده في أوساط الطبقات الأخرى من المجتمع"[15].
3. اختلاف البيئتين بين العاشق والمعشوق، على العكس تماماً من القصص العاطفية التي حدثت في الأندلس على اختلاف عصورها، نذكر منها على سبيل المثال ابن زيدون وولاّدة، فـ "اذا كانت قصة ابن زيدون وولاّدة تقارب بين مستويين في مجتمع ارستقراطي، فإن قصة ابن الحداد ونويرة تقارب بين بيئتين متجاورتين، تنفرد كل منهما بدينه، وتتعايشان معاً على أرض الأندلس"[16].

وعلى الرغم من حالة الانتشار هذه ومرافعها وأسبابها، إلا أنَّ ابن الحداد "شَقَّ لحبه طريقاً لم يألفها الاندلسيون المحافظون، فكان منهم المعارض والمستنكر. لكنه لم يأبه لتلك المعارضة، كما لم يلق الاستنكار أي صدى في نفسه؛ لأنَّ حبه كان الأكبر، وصوت قلبه كان الأقوى"[17]. وبالتالي حفل معجمه الشعري بمفردات ودلالات دلَّت من قريب أو من بعيد– على تجربته العاطفية بنفسية فرحة تارة، وحزينة تارة أخرى.

حيث كانت (أناه) المحرك الرئيس لمجمل هذه الأحداث والانتقالات، فضلاً عن أنَّ مشاركته معشوقته كان لها أبرز الأثر في إضفاء ديناميكية على تلكم الأحداث.

فكانت أشعاره في الغزل صادقة، ومن ذلك قوله:

(المتقارب)

فَعهدي به في ذلك الدَّوحِ كانياً ومَن لي بالرُّجعى إلى ذلك العَهْد؟[18]

يتمنى شاعرنا أنْ لو عادت تلك الأيام الجميلة التي قضاها مع المعشوقة تحت أفياء الشجر، وصوت المطر ومن هذا البيت الشعري نلمس معاناة العاشق عندما يتذكر تلك اللحظات الحلوة في بلاد الأندلس التي كانت تشحذ قرائح الشعراء وتأسر قلوبهم.

فمعظم مفرداته التي استعملها (العاشق) متصلة بالجسم وأعضائه، زيادة على أن بعض الألفاظ حملت صفة معنوية، إذ أوردها الشاعر العاشق من باب تسمية الجزء بالكل، وهذه الألفاظ (النفس، الفؤاد)، وكلاهما يدل على الجسم، فالألفاظ المتصلة بالجسم وأعضائه وما يحتاج في نفس الشاعر تعد المحبس الذي يصلح لمعرفة الاثر النفسي للعشق ومقدار تأثر الشاعر العاشق به[19]. كما في قوله:

(الطويل)

ومن أين أرجو برء نَفْسي من الجوى وما كلُّ ذي سَقْم من السُّقْم بارىء؟[20].

فقد بيَّن بأن لا رجاء لشفاء (أناه)؛ سبب ذلك الحب والوجد، وفي الغالب استعمل الشاعر لفظ (الفؤاد) بدلاً عن (النفس)، دون أن نلاحظ أو نلمس اختلافاً في الدلالة بينهما، ويسند إلى كليهما السقم والأعياء، فيقول شاكياً:

(الطويل)

وسُقْمَ فُؤادي من سَقام جُفُونه فإنْ نَقَهتْ عَيْناهُ فالقلبُ ناقَهُ[21].

ويذكر الشاعر العاشق لفظ (فؤادي) ليوضع ويشير إلى المعاناة النفسية وأثرها على الجسم، إذ يريد القول: إذا أبرئت عين معشوقي من المرض، فإن فؤادي يشفى ويكون سليماً معافى من جميع الأمراض.

وقد أصاب في اختيار مفردة (العين)؛ للدلالة على تلك الحالة التي كان يعيشها. إذ إنَّ العين من أكثر الحواس أهمية في سائر أعضاء الجسد؛ فضلاً عن أنها أداة فاعلة ووسيلة من وسائل التواصل مع المحب. ومن يدقق النظر في معجمه الشعري يجد مرادفات كثيرة للعين ذُكرت في غير مناسبة كـ (الجفن، الطرف، المقلة، اللحظ) كلها ارتبطت بدلالات مأساوية كشفت عن نفسية الشاعر وما عاناه من الألم والتأوه. فقوله في هذا:

(البسيط)

فالعَيْنُ دُونَكَ لا تَحْلَى بلَذّتها والدَّهر بعدَكَ لا يصعو تَكَدُّره[22].

إنَ لفظة العين تشير إلى حالته الشعورية والنفسية، فهو دائم الأسى والحزن.

وتأسى الروية الخارجية في تضاعف الشوق إلى المعشوقة، مصحوباً باللوعة وشدة الحزن، إذ يقول:

(السريع)

وناظري مُختلس لَمْحَها ولَمحها يضرم لَوعاتي[23]

في موضوع (الغزل) أتت لفظ العين في المرتبة الأولى مع مرادفاتها، وإذا ما التفتنا إلى الألفاظ الأخرى الموجودة ضمن الحقل المعجمي للعين، كـ (الجفن، والحدق، وغيرها...) نلمح تفاوتاً في نسبة ورود الألفاظ المرادفة للعين.

ويقول في موضع آخر مضمناً لفظ (العين):

(الطويل)

أما إنّها الأعلامُ من هَضَباتها فكيف تكفُّ العين عن عبراتها؟[24]

إنَ تكرار لفظ (العين) إشارة صريحة إلى ذرف الشاعر لدموعه ولاسيما حين شعر بأن البكاء خير علاج للتخَفيف عن لواعجه، كما أنها إشارة إلى شخص العاشق وكيانه بأكمله. إلا أن الدموع والحزن الدائم ونار الشوق سوف ينعكس سلباً على جسمه ونفسه. حيث ترد ألفاظ دالة على العين، كـ (ناظري، وبصري)، إذ يأتي اللفظ الثاني مقترناً بالرؤية الخارجية للأبصار[25]. فيقول:

(مجزوء الوافر)

حَجَبْت سَناك عن بصري وفوقَ الشَّمس سماك[26].

يعاني شاعرنا من صد وحرمان المعشوق من النظر إليها وهي في قمة البياض الصفاء والنقاء حيث كانت أكثر إشراقاً من الشمس في نورها، ومن المبالغة واضحة في العاشق من شدة حبه لها.

أما لفظ (الحدق) فقد ورد في مواضع ثلاثة واقترن استعماله في ذكر الدموع، فيقول:

(البسيط)

تَركْن قلبي وأشواقي تَفطُره ودمع عَيْني وأحداقي تُحَدّره[27].

الشاعر هنا ربط (الحدق والعين) وكأنه يريد أن يقول بأن سواد عيني مليء بالدموع؛ لأنها تركت قلبي مجروحاً تفطره الأشواق.

واستعمل لفظ (الحدق) للدلالة على الترقب، كما في قوله:

(الكامل)

لو أستطيعُ فرَشْتُ كلَّ مسالكي حَدَقاً وبَيْضَ سَوالف وَنُحُورا[28].

فقد تمنى شاعرنا في أن لو يستطيع أن يفرش المسالك عيوناً ليراقب قدوم المعشوقة. في حين أورد لفظ (اللحظ) مرتبطاً بالصبابة والوجد، فيقول:

(الكامل)

أَنَّى يَهابُ ضرابُهم وطعانُهم صَبٌّ بالحاظ العُيون طَعين؟[29].

فقد وظف الاستفهام ليقول كيف يمكن لي أن أخاف من سيوفهم وإرماحهم وأنا طعين في عيون معشوقي الجميلة الواسعة.

حيث ورد لفظ (الطرف) مرتبطاً بالسهر والتعب والأرق، كما في قوله:

(الطويل)

وما بالُ طَرفي لا يوافيكَ شاكياً وطَرفُكَ في كلِ الأحايين وسنانَ[30].

فيخاطب معشوقته بأن عينه تختلف عن عينها، إذْ إنها لا تعرف النوم ولا تشكو حالها، حيث نلمس في أشعار الغزل كثرة الحديث عن جمال العيون، إذ رأوا في عيون المرأة فتنة تشدهم وسحراً يملك عليهم اللب والفؤاد، وجعلها بعضهم أشد فتكاً بالعشاق، ويذكر شاعرنا أن الحبيبة سطت على قلبه بتلك النظرات الساحرة، من ينها الفاترتان[31].

أما في ما يخص لفظ (المقلة) فقد خلا حقل الأوصاف الحسية المرتبطة بالعين. أما الأوصاف الجسدية فقد خلت من لفظ (الوجه، والقوام، والفم، إلا لفظ (الخد) فقد ورد في موضع واحد فقط متلازماً بالجراح، فيقول:

(الطويل)

وقد جرحتْ عَيْناي صَفحةَ خدّه على خطا فاختار قتلي على عَمْد[32].

الشاعر في هذا البيت يبين معاناة هذا الحب، فقد كان المعشوق دائم الصد والهجر لا يريد اللقاء والوصال، حيث اشتعلت النار في قلبه، وتأرجح حريقه، عندما أطال النظر إليها احمرت وجناتها من شدة الخجل، حيث كانت تتمتع في تعذيبه، ونلمس في هذا البيت خفة الكلام، وروعة التشبه، وجمال الصورة والوصف.

أما الألفاظ الدالة على الصفات المعنوية فلَم يَخْل معجمه الغزلي من هذه الصفات، مثل (الشوق، الجوى، الصبر، الهوى، السلوان، الهيام....)، هذه الألفاظ كان شاعرنا قد استعملها في وصف تجربته الشعرية والعاطفية، وما يمكن أن ينتج عنها من معاناة وانفعالات.

ومن هذه المفردات الأكثر حضوراً، مفردة (الهوى) حيث كانت في المرتبة الأولى، أما الألفاظ الأخرى فقد كانت متفاوتة فيما بينها، إلا أن هناك ألفاظاً وردت في الصفات المعنوية دلت على معاناته النفسية التي انعكست سلباً على نفسه وجسمه نتيجة رفض وصد المعشوق وعدم الاكتراث إليه، ومن هذه الألفاظ، (الدموع، الحزن، الأسى، البكاء، العبرات) والدليل على ذلك، قوله:

(الطويل)

فَيا عجباً أنْ ظَل قَلبي مؤنَا بشَرْعِ غَرام ظَلَّ بالوصْل كافراً[33].

يحاول الشاعر أن يجدد الأمل في الوصول إلى المعشوق، فيظل يتأمل في ذلك الحي حتى وإن كان هذا الحب يسوده التوافق من كلا الطرفين، فالمعشوق لا يقر بالوصل، والعاشق لا يستطيع أن يحقق أحلامه في ذلك الحب حتى أصبح الحرمان حليفه، حيث ظل الوجد حيران، وقلبه مطوياً على جمراته، ويؤكد ذلك قوله:

(البسيط)

كـأنَّ كَـفَّـي في صَـــدْري يُصـــافـحُـهُ فمـا رفَعْـتَ بـداً إلاَّ وضَـــعْـتَ يـداَ[34].

هنا استمرت حالة الانقطاع وعدم الوصل لتمدد إلى موضع آخر، إذ يقول:

(الكامل)

أهْـواهُـم وإن اســتَـمَـرَّ قـتـلاهُـمَ ومـنَ العـجـائـب أنْ يُحَـبُ المبغَضُ[35].

فقد أصَّر ابن الحداد –على الرغم من الصد– من أن يواصل غرامه ووفاءه بحبه حتى وإن ظللته روح يائسة وصدر مكلوم.

وإن ما نلحظه في (أناه العاشقة) هو أن حالة الصد والهجر كانت لازمة لابن الحداد؛ لتصل به إلى حالة العبودية، حيث نلمس ألفاظاً اتخذت مساراً آخر وطريقاً مغايراً للطريق السابق تمثل في مفردات، ك (الخادم، العبد، الذليل)، حيث نجده يقول:

(الطويل)

عَـهـدْتُ بـهـا أصـنـامَ حسـنٍ عَهْـدنني هـوى عـبـدَ عـزَّاهـا وعـبـدَ مـنـآتـهـا[36]

يبالغ الشاعر العاشق هنا في وصفه، إذ أصبح عبداً ذليلاً لها، كما خضع لهوى وحب المعشوق، فهو يقول كما عبد المشركون العزى والأصنام وكان مناة أقدمها، فأنا كذلك سوف أصبح للمعشوق عبداً ذليلاً هائماً خاضعاً لها.

وما نلحظه أيضاً في معجمه الشعري انجلاء لفظ (الغاوي) ويراد بها الرقيب، فيقول:

(الطويل)

فَـيـا شَـــجَـرات أثْمَـرتْ كـل لـذة جَـداك لـذيـذٌ لَوْجَنَـتْ على الغـادي[37].

فقد خاطب الشجرات التي أثمرت كل لذة يوم اللقاء مع المعشوق، طالباً منها أن تعاقب ذلك الرقيب الذي لولاه لكان جناها لذيذاً لا يوجد أطيب منه.

ورصدنا مفردات أخرى دلّت –من قريب أو من بعيد– على حبه الذي نحى منحى عذرياً ك (السلوى والشوق والبلوى والبكاء)، كقوله:

(مجزوء الوافر)

وهـــا أنا مـــنْـــك في بَـــلْـــوى ولا فَـــرَجٌ لـــبَـــلْـــواك[38].

فقد عانى الشاعر من عذاب الحب الذي عاش فيه، فالأنا العاشقة تخاطب المعشوق قاطعة الأمل في تركها فلا طريق لديها للتخلص؛ نتيجة معاملتها الحادة القاسية والصد والحرمان الدائم.

أما مفردة (سلوى) فقد ضمنها في بيته الذي وثق عن طريقها عرى المحبة إذ يقول:

(مجزوء الوافر)

ولا أستطيع سلْواناً فقد أوْثقْت أشْراكي[39].

ويقول أيضاً مضمناً مفردة (البكاء):

(مجزوء الوافر)

فكم أبْكي عليك دَماً ولا تَرْثينَ للباكي![40]

نفهم مما تقدم ذكره غلبة المفردات المعنوية على المفردات الحسية، وبالتالي فهو دليل على أن ابن الحداد في (أناه) العاشقة يمكن أن يندرج في ضمن قائمة الشعراء الذين اتجهوا في اشعارهم اتجاهاً إلى العذري في مضامينه أقرب من غيره؛ وذلك بموجب ما شهدته أشعاره من توسل وتضرع وخضوع.

الخاتمة:

تبين من خلال هذا البحث أن حالة الأنا والأنا الاخر جلية في شعر ابن الحداد الأندلسي، فتمثلت الأنا في شعره معاناةً وألماً، ويتضح ذلك الأمر جليًّا في أغلب أشعاره، واتضح أن نظرته إلى الآخر (المرأة) نظرةً غير إيجابية ومن الملاحظ أنه اعتمد في مخاطبته للآخر على الرموز، كما اعتمد هذا النهج جمع كثير من الشعراء العرب الذين سبقوه، من عدم الافصاح عن أسماء محبوباتهم باستخدام الاسماء المستعارة. وقد أفصح ابن الحدّاد عن حالة الغزل التي عاشها مع فتاة نصرانية وقد أسماها باسم مستعار وهو (نويرة) فوجه (أناه) نحو محبوبته وجدا وهياما بشكل كبير.

المصادر والمراجع:

1. البديع في ديوان ابن الحداد الاندلسي- دراسة بلاغية نقدية، عنود بنت احمد بن حليس العنزي، ص 88، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى 1435هـ- 1436هـ.
2. بلاغة العرب في الاندلس، احمد ضيف، ط1، ص 185، 1342هـ- 1924م.
3. تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، ط1، ص 161، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاصدار الثاني، عمان، الاردن، 2001م.
4. حب الاخر في الشعر الاندلسي والبروفنسي، عباسة، محمد، ص 11، 18/ 10/ 2007م. www.Arabianobserver.net/mambo
5. الحب في الاندلس- ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية، مدلج جودت، ط 1، ص 247، دار لسان العرب- بيروت، 1985م.
6. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ص 693، دار الثقافة بيروت- لبنان، 1447هـ، 1997م، ق 1، م 2.
7. الشعر الاندلسي بحث في تطوره وخصائصه، غارسيا غوميز، ط2، ص 78، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1952م.
8. شمس العرب تسطع على الغرب، فاروق بيضون كمال الدسوقي، ط8، ص 522، دار الجيل- بيروت، 1413هـ- 1993م.
9. صورة المرأة في الادب الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ابو حسين، محمد صبحي، ط2، ص 164، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2005م.

10. صورة المرأة في الشعر الاندلسي في ظل بني الاحمر، عائشة ابراهيم موسى سلامة محسن، ص 66، جامعة ام درمان الاسلامية، 1428هـ- 1429هـ، 2007م- 2008م.
11. في الادب الاندلسي، د. جودت الركابي، ص 132، ط2، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الادبية، 1119.
12. القصيدة الاندلسية الغزلية، بسمة الدجاني، ص 36، دار المستقبل العربي، القاهرة- مصر 1997م.
13. المغرب في حلى المغرب، ابي سعيد، علي، ط2، ص 144، دار المعارف، مصر، (د. ت).

الهوامش:

(1) القصيدة العربية الأندلسية الغزلية: 36.
(2) شمس العرب تسطع على الغرب: 522.
(3) في الأدب الأندلسي: 132.
(4) ينظر: صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: 164.
(5) بلاغة العرب في الأندلس: 185.
(6) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الاندلسي: 268.
(7) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق 1 م 2/ 693.
(8) المغرب في حلى المغرب: 144.
(9) ينظر: الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه: 78.
(10) في الأدب الأندلسي: 52.
(11) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد: 190.
(12) المصدر نفسه: 264.
(13) بلاغة العرب في الأندلس: 185.
(14) تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: 161.
(15) حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي: 11.
(16) تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: 167.
(17) الحب في الأندلس، ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية: 247.
(18) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 197.
(19) ينظر: البديع في ديوان ابن الحداد الأندلسي دراسة بلاغية نقدية: 88.
(20) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 146.
(21) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 303.
(22) المصدر نفسه: 210.
(23) المصدر نفسه: 160.
(24) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 162.
(25) ينظر: المصدر نفسه: 162.
(26) المصدر نفسه: 242.
(27) المصدر نفسه: 209.
(28) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 219.
(29) المصدر نفسه: 267.
(30) المصدر نفسه: 261.
(31) ينظر: صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر: 66.
(32) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 198.

(33) المصدر نفسه: 215.
(34) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 193.
(35) المصدر نفسه: 231.
(36) المصدر نفسه: 164.
(37) ديوان أبي عبد الله ابن الحداد الأندلسي: 205.
(38) المصدر نفسه: 241.
(39) المصدر نفسه: 241.
(40) المصدر نفسه: 241.